المرحلة الثالثة
فصل

التقديم والتأخير

إن الجملة العربية تخضع لترتيب ينظم تتابع أجزائها في الهيكل الإسنادي للبناء اللغوي ومن ثم تتكامل عناصر أخرى يتم بها التعبير فهناك التركيب الاسمي للجملة وفيه يتقدم المبتدأ ثم يتلوه الخبر والتركيب الفعلي للجملة تبدأ فيه بالفعل ثم الفاعل وبعده المفعول به ثم تتوالى الأجزاء الأخرى التي تكون مشتركة في الجملة الاسمية والفعلية كالحال والتمييز.

والحقيقة ان ظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة لغوية نحوية تناولها النحويون القدامى فكان سيبويه (ت ١٨٠هـ) أول من اعتنى بالتقديم والتأخير وأشار الى دلالات بلاغية لتقديم الفاعل والمفعول للعناية والاهتمام ودلالات تتعلق بالصنعة الشعرية كالضرورة الشعرية التي قد تؤدي بغير التقديم والتأخير الى تغيير الكلام احيانا.

التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

١- تقديم الخبر: ورد تقديم الخبر عند النحاة فقالوا: إن تقديم الأعرف هو الأصل ويقصدون هنا المبتدأ وتأخر الأقل تعرفا ليكون خبرا إلا أن هذه القاعدة ليست ثابتة فقد تقدم الخبر لغرض بلاغي أو لسياق الكلام وقد ورد تقديم الخبر في قوله تعالى: أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) فسحر خبر مقدم و(هذا) مبتدأ مؤخر وذكر ابن هشام هذه الآية فقال: إن المعنى يخرج للإنكار الابطالي وهذه تقتضي أن ما بعدها غير واقع وان مدعيه كاذب.

٢) وتقدم الخبر يفيد احيانا التعظيم والتعجب كقوله تعالى: (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه) أي وهم قليل وما مزيدة للتعجب والابهام.

٤) ومن تقدم الخبر في قوله تعالى: (سلام هي حتى مطلع الفجر) فقدم سلام على المبتدأ المؤخر (هي) لأهمية. وقد تقدم الخبر هنا لأهمية فالسلام في ليلة القدر هو المعنى الذي تدور حوله الآية وهو الذي يحمل فحوى هذه الليلة.

٤- تقديم الخبر لقصور: وتقدم الخبر لقصور في بعض الآيات القرآنية في مثل قوله تعالى: (وما على الرسول الا البلاغ) فالبلاغ هو المبتدأ وشبه الجملة على الرسول الخبر وافاد هذا الاسلوب اختصاص الرسول (ص) بالبلاغ

٥- وكذا تقدم الخبر لقصور في قوله تعالى: (انما على رسولنا البلاغ المبين) وهذا الاسلوب في المبتدأ لقصور قد تحدث عنه الجرجاني: واعلم انه اذا كان الكلام (بما) و (الا) كان الذي ذكرته من أن الاختصاص يكون في الخبر إن لم تقدمه وفي المبتدأ إن قدمت الخبر أوضح وأبين.

٧- تقديم الخبر في الاستفهام: قد تقدم الخبر في الاستفهام لاظهار اللهفة بشكل أجمل وابلغ ورد هذا الاسلوب في قوله تعالى (أسرٌ هذا) فقد تقدم الخبر (سحرٌ) فاعطى هذا التقديم معنى الاستنكار

٨- تقديم محمول خبر (كان) وتوسطها. ومن تقديم خبر كان على اسمها قوله تعالى: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين. وقد توسط خبر كان (حقاً) بينها وبين اسمها فقدمه تعجيلا للسرور وتطييباً للنفوس وكان هنا للثبات والدوام) وكذلك قوله تعالى: (أكان للناس عجباً أن اوحينا الى رجل منهم) يوجه للناس عجباً اي الذي فيه التعريك الى الخفاء والعيب.

ومن توسط محمول خبر (كان) بينها وبين اسمها وهو ظرف وجار ومجرور قوله تعالى: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) و (أكان للناس عجباً أن اوحينا الى رجل منهم) وقد ذكرنا ساعاً وتوسط الخبر وهو ظرف في قوله تعالى (قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) ومثله قوله تعالى: (ولم يكن له كفواً أحد)

٩- تقديم خبر كان علماً: وتقدم خبر كان علماً في قوله تعالى: (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) تقدم الخبر وهو (كيف) لاظهار كيفية عاقبة المكذبين فتقدم تنبيهاً وهو عظة

١١- تقديم محمول خبر ليس علماً في قوله تعالى: (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم) فتقديم محمول خبر ليس (يوم) لتأكيد خبر ليس وهذا التقديم هو لأفادة المبالغة في التهديد

ويجب تقديم الخبر على المبتدأ وجوباً في خمسة مواضع:

١- إذا اتصل بالمبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر وفي هذا الموضع يكون الخبر شبه جملة (ظرف أو جار ومجرور) والمبتدأ متصل به ضمير يعود على الخبر مثل: للعراق حضارتُهُ، ومثل: في الدار صاحبُها. ومثل: في المدينة سكانُها. وقد يأتي الخبر شبه جملة (مضافاً إلى ما بعده) ومن ثم يأتي المبتدأ: قال النبي (ص): (من حسن إسلام المرء تركُهُ ما لا يعنيه)

٢- إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة مثل: في الحديقة أشجارٌ ومثل: قال تعالى: لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيدٌ. ومثل: في الصف طلابٌ. قال تعالى: وعلى أبصارهم غشاوةٌ

٣- إذا كان الخبر من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام وهي أسماء الاستفهام الدالة على الزمان والمكان والحال مثل: (متى، أيان، أين، أنى، كم، أي) مثل: قال تعالى: ويقولون متى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين)

متى: اسم استفهام مبني في محل رفع خبر مقدم وجوباً، هذا: آ: اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر ومثل: قال تعالى: (متى نصرُ اللهِ) ومثل: قال تعالى: (قل يا مريم أنى لكِ هذا) أنى: إسم استفهام مبني في محل رفع خبر مقدم وجوباً هذا: اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر.

٤- إذا كان الخبر محصوراً على المبتدأ والقصر بالنفي والاستثناء بإلا: وفي هذا التقديم فائدة التوكيد مثل: قال تعالى (إن في صدورهم إلا كبرٌ ما هم ببالغيه). في صدورهم: خبر مقدم وجوباً وهو: قال تعالى: (ما على الرسول إلا البلاغُ). على الرسول: خبر مقدم وجوباً (قصر الخبر على المبتدأ (إلا) البلاغُ: مبتدأ مؤخر) (لله در) مثل:

٥- تقديم الخبر على المبتدأ لغرض التعجب بصيغة (لله در) مثل:

لله أيامٌ قضيتُ بقريتي ما كان أحلاها وأهناها

لله: شبه جملة في محل رفع خبر مقدم (لغرض التعجب) أيامٌ: مبتدأ مؤخر مرفوع

أهمية التقديم والتأخير في اللغة

١- التبرك: لتقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن وفيه قوله تعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ومثل: قوله تعالى: واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول

- التعظيم: كقوله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي. وكقوله تعالى: والله ورسوله أحق أن يرضوه.
٢- التشريف: كتقديم الذكر على الأنثى نحو: إن المسلمين والمسلمات.
وكقوله تعالى: والحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى.
٤- المناسبة: كقوله تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قدم نفي الإسراف لأن الشرف في الإنفاق.
٥- الحث عليه والحض على التقديم به حذراً من التهاون به كتقديم الوصية على الدين في قوله تعالى: (من بعد وصية يوصي بها أو دين).
٦- السبق: كتقديم الملائكة على البشر كقوله تعالى: (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس).
٧- السببية: كتقديم العزيز على الحكيم وتقديم التوبة على الطهارة كقوله تعالى: (يحب التوابين ويحب المتطهرين) لأن التوبة سبب الطهارة
٨- الكثرة: كقوله تعالى: (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) لأن الكفار أكثر.
٩- الترقي من الأدنى الى الأعلى: (اللهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها).
١٠- التدني من الأعلى الى الأدنى كقوله تعالى: (لا تأخذه سنة ولا نوم)
١١- افادة الحصر للاختصاص وذلك بتقديم المفعول به والخبر والظرف والجار والمجرور ونحوها على الفعل كقوله تعالى: (إياك نعبد) اي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك.